دلالة البنية الزمنية في النص الروائي التاريخي رواية العلامة "بنسالم حميش" أنموذجا

The signifiance of the temporal structure in the historical fictional text. The novel By Bensalem Himmich, as an example

ط.د فليفلة كريمة*

د. عقال فاطمة الزّهراء♣

تاريخ الإرسال: 2022/12/27	تاريخ القبول: 04 /2023/10	تاريخ النشر: 31 /2023/12

الملخص:

ومن خلال هذه الدراسة سنركز على البنية الزمنية في النص الروائي التاريخي رواية العلامة بنسالم حميش، وقد ارتكزت هذه الدراسة على محطات أهمها مفهوم الزمن لغة واصطلاحا، ومعرفة المفارقات الزمنية (الاسترجاع، الاستباق) في الرواية بالإضافة إلى معرفة الصيغة السردية التي اعتمدها الكاتب في الرواية وتناولت كيفية حضور السارد في الرواية، ومن خلال هذا المقال نطرح الإشكالية التالية: فيم تكمن جمالية الزمن في رواية العلامة؟ وهل الزمن يخلق تلك السيرورة السردية عند الروائي؟

الكلمات المفتاحية: البنية الزمنية، الاسترجاع، الاستباق، العلامة، بنسالم حميش.

Abstract:

The temporal significance occupies an important place in the fictional work, as it is an important and essential element in the formation of the fictional text, through this study, we will focus on the temporal structure in the historical fictional text, the novel by the scholar Bensalem Himmish In addition to knowing the narrative formula adopted by the writer in the novel

* جامعة يحي فارس بالمدية flifla.karima@univ-medea.dz

♣ جامعة يحي فارس بالمدية afatioumhalla732@gmail.com

and dealing with how the narrator is present in the novel, through this article the following problem is raised : what is the aesthetic of time in the novel of the sign ? And does time create that narrative process for the novelist ?

***Key words**: temporal structure, retrieval, anticipation, sign, Bensalem Himmich.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: فليفلة كريمة flifal.karima@univ-medea.dz

1. مقدمة:

تعد الرواية التاريخية من أكثر الأجناس الأدبية والسردية التي استثمرت فيها الخصائص الفنية والأغراض الجمالية من تداخل الأحداث وتعددها، وتعدد الشخصيات واختلاف الأزمنة والأمكنة التي تجري فيها الأحداث فكلها تكسب الرواية ذوقا حسيا وتجعل من الرواية متعة حقيقية تتغنى بالروعة والحيوية، كما أن الأحداث فيها تتطور وكذلك الأوضاع تتأزم فيها حياة أو موت بالإضافة إلى الشخصيات فهي في صراع دائم.

بنسالم حميش من الروائيين المغاربة الذين اهتموا بالرواية التاريخية في جل أعماله الأدبية يدور عمل حميش في روايته العلامة التي استعاد فيها تاريخ ابن خلدون" إنّ ابن خلدون يمثل هذا المنعطف بالذات من حيث إنه أصل في ذلك الاهتمام الجاد بظواهر التغيرات، وريح الحضارة، وخبر الواقعات، ففتح طريق اكتساب العقل التحليلي، القادر على فهم انبناء التاريخ وتشكل عقده ومحطاته، وبكلمة جامعة إنه من استطاع الدفع بالوعي العربي، الإسلامي إلى تمثل جدلية تاريخية فوق مقاصده الذاتية، العفوية المباشرة، أي في حقل النظر وإعمال الفكر النقدي"[1].

يمثل الزمن" محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشد أجزائها كما هو محور الحياة ونسيجها."[2] وقد أكد الكثير من الدارسين" أن الرواية هي فن شكل الزمن بامتياز لأنها تستطيع أن تلفظه وتخصه في تجلياته وهو من أهم قضايا القرن العشرين حيث شغل معظم النقاد والكتاب أنفسهم بمفهوم الزمن الروائي وقيمته حتى اعتبره أحد النقاد الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة فيعد بحركته وانسيابه وسرعته وبطئه

وهو الإيقاع النابض في الرواية، فسرد الزمن والوصف في بعض حالاته زمن والحوار زمن وتشكل الشخصية يتم عبر الزمن أي أن كل ما يحدث في الرواية من داخلها وخارجها يتم عبر الزمن ومن خلالها."[3]كما نجد الزمن يشكل محورا أساسيا في النصوص الحكائية "فالزمن يعد المحور الأساسي المميز للنصوص الحكائية بشكل عام، لا باعتبارها الشكل التعبيري القائم على سرد أحداث تقع في الزمن فقط ولا لأنها كذلك فعل تلفظي يخضع الأحداث والوقائع المروية لتوالي زمني، وإنما لكون هذه الإضافة لهذا وذلك تداخل وتفاعل بين مستويات زمنية متعددة ومختلفة منها ما هو داخلي."[4]

تعتبر الرواية من أكثر الأنواع الأدبية ارتباطا بالزمن فالنقاد مؤخرا اهتموا بتحليل الزمن وتركيبه في النص الروائي.

2. مفهوم الزمن:

شغلت لفظة الزمن فكر النقاد والدارسين منذ القدم، إذ وجد لها دلالات متعددة ومن هذا المنطلق ندرج مفهوم الزمن لغة واصطلاحا.

أ-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور" إن الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، الجمع أزمن وأزمان وأزمنة، وأزمن الشيء أطال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمنا... وقال شمر الزمن زمان الرطب والفاكهة، وزمان الحر والبرد، ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر والزمان يقع على فصل من فصول السنة وعلة مدة ولاية الرجل وما شابهه...[5]

وجاء في قاموس المحيط " الزمن اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع أزمان وأزمنة وأزمن"[6] ونجد في معجم مقاييس اللغة قيل " زمن الزاي الميم والنون أصل واحد يدل على وقت من ذلك الزمان وهو الحين قليله وكثيره، ويقال زمان وزمن والجمع أزمان وأزمنة"[7].

ب-اصطلاحا:

كان مفهوم موضع لبس واختلاف بين المفكرين سواء القدامى منهم أم المحدثون لكنهم ربطوا بشكل أو بآخر بينه وبين الحركة والتغيير في الأشياء، فبدون حركة وتغيير لا

يوجد زمن، والزمن يعتمد على هذه الحركة وهذا التغيير ويقاس بالفواصل القصيرة والطويلة تتعاقب فيها الأشياء.[8]فالزمان هو ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدة و القصير منها"[9].

1.2 المفارقات الزمنية للرواية:

يتحقق دراسة البناء الزمني بمقاربة الأحداث المتواجدة في الرواية وتواجد هذه الأحداث في السرد من خلال التنافر الذي من الممكن أن ينشأ بين زمني الرواية والخطاب فتنشأ بذلك علاقات متعددة كالمفارقات الزمنية الاستباق والاسترجاع فالتزامن في الأحداث أن يترجم إلى تتابع في النص، ويتطلب ظهور كل شخصية جديدة وتعني ظهور شخصيات جديدة ثانوية تخدم الرواية من ناحيتها الجمالية.

إن تحطيم الترتيب الزمني هو النتيجة الأكثر وضوحا للانتقاص من الحاضر والمستقبل لصالح الماضي وبطبيعة الحال فإن مثل هذا إلا الانتقاص يتم لأن تحطيم ترتيب الزمني غالبا ما يأخذ شكل العودة إلى الوراء، إلى الذكريات أو الأحداث التي تركت أثرا في نفس الشخصية، إن استذكار الأحداث أو الوقائع الماضية، يأخذ أكثر من بعد، فقد يكون الماضي على شكل وخزات ضمير، وقد يكون أحد الحوافز التي تدفع الشخصية لمحاولة تجاوز واقعها وصنع مستقبل جديد، وكثير ما يعود الإنسان إلى الماضي لأن أضحى مكشوفا لا خوف منه، كما هو حال المستقبل[10]، ورغم أن مصطلح الاسترجاع هو الأكثر شيوعا في الدراسات النقدية المعاصرة، فإن هناك من يستخدم مصطلح سابقة زمنية كبديل أو رديف له، وهو الاستخدام الذي نجده في كتاب (بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة) لمؤلفه مراد عبد الرحمن مبروك وهناك من يستخدم اللاحقة، كبديل أو رديف أخر،وهو الاستخدام الذي نجده في كتاب (مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا) لمؤلفيه سمير المرزوقي وجميل شاكر مما يشير إلى فوضى استخدام المصطلح. واللاحقة عند سمير المرزوقي وجميل شاكر عملية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد، وكذلك تسمى هذه العملية الاستذكار، وللواحق (الاسترجاعات) وظائف هي:

أ. إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية (شخصية، إطار، عقدة).

ب. سد ثغرة حصلت في النص القصصي.
ج. تذكير بأحداث ماضية وقع إيرادها فيما سبق من السرد[11]، وفي الاسترجاع يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها[12].

2.2 الاسترجاعات:

ينطلق النص الروائي من لحظة زمنية معينة يختارها السارد تمثل النقطة الأولى للحكي وفي نص العلامة تنطلق الرواية من فترة وجود ابن خلدون في مصر، وتحديدا بعد عزله عن القضاء للمرة الأولى، إلا أنها لا تكتفي بتلك الفترة، بل تعود نحو الفترات من حياة الشخصية في أماكن وأزمنة مختلفة سابقة للمرحلة الزمنية التي تعالجها أحداث الرواية، من هنا يبدأ الحديث عن الاسترجاعات داخل النص، إذ كلما عاد النص إلى حقب ومراحل وأحداث سابقة قام بعملية استرجاع لزمن مضى.

اعتمد النص على تقنية الاسترجاع مرات عدة نظرا لما توفره هذه الأخيرة من قدرة على سكب المعطى التاريخي في قوالب مختلفة تسعف النص الروائي وحاجاته السردية، وإيجاد مثل هذه المقاطع صعب في النص بالنظر إلى طبيعته الماضية، لكن وجود السند التاريخي المتمثل في النص الخلدوني يمنع هذا الاضطراب، ومن بين الاسترجاعات الواضحة ما جاء في حوارات ابن خلدون مع كاتبه حمو الحيحي من ذكر لأحداث زمنية تاريخية[13]، ونجد في رواية العلامة بنسالم حميش عدة استرجاعات في قوله "أما عبد الرحمن فكان يقضي بعض الوقت في استخبار كاتبه عن أحوال مصر"[14].

قوله "ولم تبق إلا ذكرى روائحها العبقة الزكية."[15] هنا يسترجع ذكرى جمال وعجائب وروائع مدينة النحاس بصحراء سجلماسة، وقوله "إنها تلك التي رواها ابن بطوطة في حضرة السلطان أبي عنان عن كرم ملك الهند محمد شاه ابن تغلق تجاه رعيته، وهو كرم خارق للعادة، بحيث كان إذا سافر أحصى سكان دلهي، ورصد لهم من ماله الخاص رزق نصف عام، ثم إذا عاد إليهم أمر بنصب المنجنيقات في الحقول لتقذف بها شكائر الدراهم والدنانير على المحتاجين وأهل الفاقة."[16] وفي قوله أيضا" فكنت في هذا الموضع المخصوص أقف مع المتغلب الأقوى، فأحصر التاريخ في الأخبار عما يكتبه منطق الغلبة والقوة، وأبقي خارجه جماهير المغلوبين ومن لا تعضدهم عصبية."[17]

"وهكذا استسهلت وأنا في بلاط أبي عنان، التفاهم مع ضيفه المعتقل أبي عبد الله أمير بجاية المخلوع على أن أيسر له فراره إلى إمارته."[18] فهو يسترجع نص الرواية في فترة مبكرة من حياة ابن خلدون في المغرب قبل دخوله إلى مصر.وفي قوله" العهد في المغرب كان ولا يزال مشحونا بسنن التآمر والقتل معتورًا بشقوق التداعي والصدع"[19]، وقوله" كانت توليتي على الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر والإنشاء فالفيئة إلى غرناطة عند بني الأحمر"[20]، هنا تحدث عن اعتقال أمير بجاية وعن تضرع والشكوى وأنه لم يطلق سراحه إلا بعد موته خنقا على يد وزيره ثم توليه الكتابة عن السلطان أبي سالم.

وفي قوله "قابلت إبراهيم بن زرزر، وهو طبيب يهودي كنت تعرفت عليه من قبل في بلاط أبي عنان المريني، وأذكر أنه حدثني في السر عن قساوة الطاغية المتأصلة وحياته الهوجاء الماجنة، وأكد لي ما أتاني من أنباء عن تزايد الشرور التي يتبارى الأرغونيون والقشتاليون في إنزالها بالأهالي المسلمين واليهود تحت حكمهم"[21]، وفي قوله" منذ عامين أو يزيد، وبالذات منذ ابتلع البحر الزوجة والبنين ضيعت معظم الرغبة في النظر مجددا إلى مسائل وعرة عويصة من شاكلة التي تطالعني اليوم"[22] عبد الرحمن في هذا القول استرجع ذكرى موت زوجته وبناته وكيف فقد رغبته في الخوض في المسائل الصعبة مجددا وفي قوله" ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمصار والمصانع، ودرُست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل، وتبدل الساكن."[23] نفهم من هذا القول استرجع السارد مرض الطاعون الذي حل بالمشرق والمغرب أدى إلى نقص البشر ونقص العمران على الأرض وغير في محاسن الدولة.

واسترجع حين حل الوباء بتونس في قوله" حين حل الطاعون بتونس، كنت في السادسة عشرة، فتى في سن توهج الحواس وتيقظ الإدراك."[24] وقوله" مشهد الموت بالجملة والفتك الأعمى كان يوقن الأحياء أنهم ها لكون لا محالة وأن كل يوم يطلع عليهم هو يوم قيام الساعة."[25]وقوله" من بلاد قبائل المغول والخان الأكبر حيث أدت الحروب ثمة، منذ عقد وأكثر إلى تكدسات مهولة للجيف التي حملت الرياح براثينها طاعونا إلى بلاد

الإفرنجة فالمشرق والمغرب ولاحظ تونس من العدوى إلا من صقلية عبر القوافل التجارية البحرية، التي عاضدتها، في نشر الوباء بين بقاع أخرى، القوافل البرية ومدارج الأهوية"[26]، واسترجاع في قوله" وأتذكر بالمناسبة أن شيخي إمام المعقولات محمد بن إبراهيم الأبلي رحمه الله عليه، قد تنبأ لي برؤية ذلك الكائن الذي سار على نهج أسلافه في بلاد الإسلام هدمًا وتحريقًا ومخض عبادها بطشا وترهيبًا. كل هذا الحدث أوائل المائة السابعة مع جنكيز خان واستفحل مع حفيده هولاكو مخرب بغداد ومازال الزحف التتري يسري في ظل الحفيد الآخر تيمور ويتفشى ولما يمضي على خروج المشرق من الكابوس الصليبي والمغرب من هزيمته في موقعه الآراك أكثر من نصف قرن."[27] هنا يتنبأ باللقاء مع تيمور الأعرج أحد أفراد المد المغولي، حفيد جنكيز خان، هاجم دمشق.

إن جل الاسترجاعات التي قام بها النص سواء البعيدة أو القريبة لم تأخذ حجما كبيرا من زمن السرد حيث أتى ذكرها على شكل ومضات سرعان ما تتوقف لتفسح المجال للزمن السردي.[28]وإذن تشكل كل عودة للماضي، بالنسبة للسرد، استذكار يقوم به لماضيه الخاص ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة، ومن بين الأنواع الأدبية المختلفة تميل الرواية، أكثر من غيرها، إلى الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائيا عن طريق استعمال الاستذكارات التي تأتي، دائما لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الأدبي[29].

3.2 الاستباق:

الحدث قبل وقوعه عندما نتحدث عن حدث ما لم يقع. فنص العلامة كما سبق ذكره فيه العودة إلى الماضي لا نحو المستقبل حيث يمكن عد هذه الاستباقات على الأصابع ومن بينها نجد في قوله" رأى نفسه فيها وهو يودع أم البنين وقد صارت زوجته، فيرحل إلى مدينة شرقية قريبة حيث يقابل حفيد جنكيز خان تيمور الأعرج."[30]

وهذا الاستباق، كغيره من استباقات الرواية والذي ورد في الفصل الثاني، يعلن بشكل صريح عن الأحداث التي تسرد في الفصل الثالث، وكلمة يعلن يمكن اعتبارها وظيفة أساسية من وظائف الاستباقات[31]، من الواضح أن عملية الاستباق هنا تخص بالدرجة الأولى النص الروائي، أي البناء الداخلي للنص لا في علاقته مع النص السابق،

بالنظر إلى أن الاستباق يمارس على ما سيأتي ذكره في النص وليس بالضرورة استباقا على الزمن التاريخي الذي نعتمد عليه، غير أنّ استباقات الرواية التي لها علاقة بالزمن التاريخي تستجيب للفكرة تماما، فالمثال السابق وإن كان استباقا خاصا بالبناء الزمني للرواية فإنه استباق على مستوى أحداث التاريخ أيضا، حيث لا يأت ذكر جنكيز خان إلا في وقت لاحق من نص التعريف، وليس في وقت حج ابن خلدون بما أن الرؤيا في الرواية حدثت قبيل ذهاب ابن خلدون للحج، إن كلا من الحدثين حقيقيين لكنهما متباعدان تاريخيا، إلا أنّ الرواية باشتغالها على الزمن التاريخي ربطت بينهما، إذ بالنسبة لها ليس هناك إشكال في إيجاد الروابط[32] بينما في التاريخ نلاحظ أن الانتقال من" مؤشر زمني إلى آخر لا نجد الترابط بين الأحداث إلا عاما جدا، لأنّ ما يهم المؤرخ التقليدي هو تسجيل الحدث الأساسي، ولا يبدو الربط إلا من خلال عناصر تكرارية للحدث ذاته أو استمراره"[33].

كما أنه يوجد استباق في قول الكاتب" سيأتي يوم يا حمو، إن طال الله العمر، أحكي لك فيه بعض محطات حياتي من زاوية قلاقلي أتعابي، هي محطات في المغرب على وجه، وفي المشرق على وجه آخر."[34] هنا في هذا القول عبد الرحمن يستبق أنه سيحكي محطات حياته وأتعابه في المغرب والمشرق للحيحي إن أطال الله عمره.

وفي قوله أيضا" ستعود إلينا يا معلم حاجًا بارًا موفور العافية والصحة"[35]وفي قوله" وذكرني باقتراب صلاة ظهر الجمعة."[36]وفي قوله" آثرت مطاوعة شعبان، وفي نيتي أن أسأل أم البنين عن أخيها متى سنحت الفرصة"[37]، في هذا القول استبق سؤال أم البنين عن أخيها قبل الذهاب إليها. واستباق في قوله "سأراك في الأسبوع القادم بعد أن أرتب أمورًا وأترحّم على حمو في القرافة" [38] وفي قوله "لو كان بالإمكان تمديد المدة إلى آخر الليل لما امتنعت وما اعتذرت."[39]هنا تحدث في هذا القول عن مجالسة أم البنين لو كان بإمكانه تمديد المدة لمحادثتها.

وإن كانت الصعوبة في تتبع الاستباقات والاسترجاعات كبيرة في النصوص الروائية نظرا لتداخلات هذا الزمن نفسه، فإنها في نص العلامة تتخذ بعد أكثر تعقيدا نظرا لاعتماد هذا النص على زمن خارجي لا يمثل نص واحد بل أزمنة متعددة لأكثر من نص، هي نصوص ابن خلدون التي تم الاشتغال عليها، حيث يمارس هذا النص بالإضافة إلى

كسره لنظامه الزمني الخاص ولزمن النص المرجعي الأول التعريف كسرا للخطية الزمنية ولتراتبية النص السابق باعتبارها نصوصا لا نصا واحد وباعتبار تسلسل ورودها التاريخي، حيث قام النص الروائي بمحو الزمن التاريخي وزاوج بين النصوص التاريخية في نص واحد يحتكم إلى زمنية خاصة هي زمنية الرواية لا زمنية تلك النصوص[40].

ويمكننا تتبع المسار الزمني للنص الروائي واشتغالاته على الزمنية التاريخية من خلال عرض الزمنين معا في أهم محطاتهما ورصد التقاطعات التي من شأنها أن تمنحنا فكرة واضحة تمام الوضوح عن الحضور الزمني وكيفيته داخل الرواية بالقياس إلى زمن التاريخ، والحديث عن الزمن التاريخي يحيلنا إلى ملاحظتين أساسيتين:

لا يمكن الحديث في المسار الزمني، إلا عن نص التعريف باعتباره نصا سرديا له ميزة حضور الحدث وبالتالي الزمن، مما جعل نص العلامة يعتمده لرسم أحداث حياة ابن خلدون، بينما باقي النصوص لا تحتكم إلى زمنية حديثة وإنما تنظيرية، بمعنى أن زمنها خاص وداخلي لا تأثير له في الحدث الروائي أي على الزمن كما هو الحال بالنسبة للتعريف[41].

إنّ مشكلة الزمن لا تتعلق بالرواية فقط كما يظن البعض وإنما بالتاريخ أيضا، فنص التعريف ذاته نص تاريخي بالدرجة الأولى، لكنه في الوقت نفسه نص سير ذاتي مما جعله لا يحتكم إلى خطية زمنية بحتة إلا لأن نظام الكتابة قديم مما جعله كرونولوجيا في سوقه لمحطات حياة صاحبه إذ نجد على مستوى هذا النص استباقات واسترجاعات تخل بالنظام الزمني الحقيقي، وإنّ بشكل ضعيف، حيث ظل النص يحتكم إلى منطقية السرد التاريخي وتسلسله مقدما سردا لسيرة ابن خلدون لكن المهم أنّ نص الرواية لا يحتكم إلى الزمنية الحقيقية بل الزمنية التاريخية كما وردت في نص التعريف، وعليه فإنّ كان زمن القصة بالنسبة لنص ابن خلدون هو الزمن الحقيقي فزمن القصة بالنسبة لنص العلامة هو النص السير الذاتي بكل ما يحمله من تغيرات داخلية مارسها على الزمن الحقيقي[42]، حيث تعمل الاستباقات والاسترجاعات على رسم معالم زمنية خاصة بالنص الروائي وتمارس كسرًا على مستوي خطية النص التاريخي، وهي الطريقة التي تمكن من إعادة كتابة نص ما، حيث يرى غاستون باشلار أنه" لا توجد وسائل أخرى لتحليل فعل

ما إلا بمعاودته. وعندئذ ينبغي أن يعاود من خلال تفكيك أي تعداد وترتيب القرارات التي تكونه زد على ذلك انه يعتبر من الأوهام جعل الزمان يؤدي دورا جوهريا في فعل مركب"[43].

كما نلاحظ انغلاق الزمن على مستوى الرواية وانفتاحه على مستوى التاريخ، حيث يتوقف الزمن الروائي بموت العلامة بينما يؤول زمن التعريف إلى نهاية مفتوحة على أحداث قادمة كان آخرها عزله عن القضاء للمرة الخامسة، بالإضافة لبعض نقاط التلاقي بين الزمنين حيث يسيران في نفس الخط بمعنى أن التطورات على المستويين تتوازى لتنتج خطية معينة على مستوى النص سرعان ما تنكسر كما أننا نلاحظ المسافة التي تميز الإسترجاعات والتي تبدو أوسع زمنيا، من حيث العودة للماضي مقارنة بالإستباقات[44].

1.3 صيغة السردية في رواية العلامة:

إن نص العلامة يقابلنا كنص يحاكي نصه السند من حيث طريقة التمثيل ونقصد بذلك السرد حيث لم يغير النص اللاحق من سردية النص السابق وظل السرد مشتركا بين النصين التاريخي والروائي باعتباره طريقة التمثيل في النصين معا، وينبغي الانتباه إلى أن السرد يختلف في الطبيعة بين الرواية والتاريخ إلا أن النص العربي التاريخي لابن خلدون يعتمد على أسلوب الحكي للوقائع الحقيقية، في حين أن الرواية تسرد وقائع تحاول من خلالها الإيهام بالحقيقة، غير أن البقاء تحت الإطار نفسه لا يعني التقيد التام بالسردية التاريخية بل على العكس من ذلك، يقوم النص الروائي بمجموعة مهمة من التعديلات أو بكلمة أدق التحويلات التي منحته مساحة خاصة تختلف عن مساحة السرد التاريخي تحتل فيها التغيرات الحاصلة داخل هذا التشكيل مكانا مهما من حيث التنوع والتعدد[45].

2.3 حضور السارد في رواية العلامة بنسالم حميش:

يمكن أن نتحدث في نص العلامة عن ساردين من الرؤية السردية وهم:

- الإملاءات في الليالي السبع راوي خارج الحكي.
- بين الوقوع في الحب والحلول في ظل الحكم راوي داخل الحكي.

- الرحلة إلى تيمور الأعرج جائحة القرن راوي خارج الحكي وداخل الحكي.

فالسارد الأول في الفصلين الثاني والثالث هو داخل الحكي إذ يقول سعيد يقطين" الذي يحكي قصة غير مشارك فيها ولكن من خلال شخصية تظل بينهما مسافة سنسميه بالناظم الداخلي."[46]وشخصية ابن خلدون هي التي تحدد المسافة بينها وبين السارد هنا في قوله" القاهرة، قيل للمغربي قبل وفوده عليها من لم يرها لم يعرف عز الإسلام، وحين عاينها وقف عند هذا العز في عمرانها ومآثرها ورسومها، لكن ما إن نزل في بواطنها مكبًا على شؤون العدل الذي هو أسسّ الحكم حتى قاس اغتراب الإسلام بين أكابرها وأعيانها، فرثى لانقلاب القضاء إلى ألاعيب احتيالية وصفقات دنيوية، ورثى لانسحاق الحقوق وزهقها تحت أقلام الزور وبطون الحرام."[47]

فالراوي قريب من الشخصية الأساسية حتى وإن كان خارجيا وهو ما نعنيه في الفصل الأول، حيث يبقى الراوي على مسافة تمنعه من أن يكون الشخصية خاصة باستخدام ضمير الغائب وبقدرته على الرؤية من الخارج في غياب الشخصية.[48] في قوله "حين عاد الحيجي إلى بيته وأكل وشرب، قفز كعادته في حضن زوجته وحدثها طويلا عن نقائب مشغله الجديد."[49] يسرد الأحداث من داخلها وفي قوله" استيقظ عبد الرحمن على وقع رؤيا منامية غريبة، رأى نفسه فيها وهو يودع أم البنين، وقد صارت زوجته، فيرحل إلى مدينة شرقية قريبة حيث يقابل حفيد جنكيز خان تيمور الأعرج."[50] يعود الراوي نفسه في الفصل الثالث للرواية، بينما يطلعنا الفصل الثاني" بحكي ذاتي الفاعل الذاتي وهو السارد المشارك في الحدث بشكل جوهري أي شخصية مركزية".[51] والشخصية الرئيسية هنا في نص العلامة هي شخصية ابن خلدون وفي قوله" ذهابا وإيابا استغرق حجي زهاء الستة أشهر."[52] وهنا يمكن القول أنّ الراوي استخدم ضمير الغائب في الفصلين وضمير المتكلم في الفصل الثاني وحاشية الفصل الأخير، وإذا عدنا إلى النص التاريخي نجد" أن الراوي المؤرخ من خلال استعماله ضمير الغائب في إرسال مادته الحكائية يقيم بينه وبين الحدث مسافة ومن خلال هذه المسافة يبدو متعاليا على مادته وهذا يتيح له إمكانية تسيير الأحداث وفق تسلسلها الخارجي وعلاقتها السببية."[53] ويمكن تفسيره هذا لجوءه إلى إشارات زمنية في حال الانتقال من يوم إلى آخر ومن سنة إلى أخرى. ومن ثمة نستطيع

الحديث عن فاعل ذاتي راوي داخلي يعود كلما تعلق الأمر بالمتخيل. وناظم داخلي يضعنا في مواجهة الحدث التاريخي علما أنّ النص الخلدوني يتراوح بين الأنا والهو أو بين الداخلي في السيرة الذاتية والراوي الخارجي في المقدمة والعبر.[54]

رواية العلامة صدرت الطبعة الأولى منها عن أفاق العربية الشركة الدولية للطباعة القاهرة سنة 2002 لكاتبها الروائي والأستاذ "بنسالم حميش" وقد حصلت هذه الرواية على عدة جوائز منها وأبرزها جائزة الأديب العالمي نجيب محفوظ الجامعة الأمريكية وجائزة الأطلس الكبير. تدور رواية العلامة حول شخصية ابن خلدون التاريخية فهي مقسمة إلى ثلاث فصول وفاتحة يقدم فيها شخصيات أساسية أربعة ابن خلدون، شعبان خادمه، حمو الحيحي كاتبه، أم البنين زوج حمو، ولاحقا زوج ابن خلدون بعد ممات حمو تبدأ الفصول باقتباسات من كتب التاريخ الفصل الأول يحمل عنوان الإملاء في الليالي السبع يتشكل من سبعة فصول تحمل عنوان ليلة متمم الشهر الهجري من صفر إلى شعبان في هذه الفترة يملي ابن خلدون على كاتبه حمو آراءه حول الأحوال العامة، وفي الفصل الثاني بين الوقوع في الحب والحصول في ظل الحكم وفي الفصل الثالث يعرج عن الخلافات بين أهل الحكم المماليك وتجنيد الجنود لمقاومة الغزو التتري، والخطر الداهم من أبواب سوريا ودمشق، ويعود القص إلى ابن خلدون الذي يموت بين يدي خادمه الأمين بعد أن عادت زوجته إلى المغرب التي كان من المفترض أن يلحق بها بعد إنجاز أعماله في مصر. ورواية العلامة تجمع بين الماضي والحاضر وتترك للمتلقي أن يقارن بين ما كان وبين ما سيكون.

3 خاتمة:

بعد استعراضنا للدلالة البنية الزمنية في النص الروائي التاريخي رواية العلامة أنموذجا خلص البحث إلى ما يلي:

1- رواية العلامة رواية تاريخية تبدي نص تاريخي خاص بابن خلدون من أول صفحة في الرواية.

2- اعتمد السارد على آليات من خلال إيصال الفكرة إلى المتلقي فعمد السارد على الماضي بشكل متكرر على مدى صفحات الرواية.

3- تتضافر الشخصية التاريخية الرئيسية ابن خلدون مع باقي الشخصيات ام البنين، حمو الحيحي شعبان، السلطان برقوق، الناصر فرج، يشبك، سعد، برهان الدين، تيمور الأعرج لترسم محطات الأساسية التي كان لها الفضل في تحليل الأوضاع التاريخية والاجتماعية في الرواية.

4- توظيف وتداخل الأزمنة في الرواية كشف عن أسرار جمالية وفنية للرواية منها تشويق وجذب انتباه القارئ.

5- العودة بالسرد إلى الوراء وورود معظم الأحداث من الذاكرة الماضي وارتباطها بأحداث واقعية أدى إلى التركيز على فكرة الاستباق والاسترجاع.

6- إنّ الاسترجاعات التي اعتمد عليها السارد في تصوير أحداث الرواية لها دور مهم في تقديم معلومات ماضية للشخصية الروائية البطلة.

7- دلالة البنية الزمنية في رواية العلامة تحمل دلالات ورموز تاريخية تتغير كلما انتقلنا في الزمن وذلك راجع لكل فترة وتميزها عن الأخرى، إذن فالزمن يلعب دورًا أساسيا في تحديد العمل الفني داخل الرواية.

*** *** ***

4. الهوامش:

- بنسالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 1.17

2- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 23.

3- ينظر سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1984، ص36،37.

4- سيزا قاسم، المرجع السابق، ص 103.

5- ابن منظور، لسان العرب مادة (ز، م، ن)، دار إحياء التراث العربي لمؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ج2، ط3، ص 87.

- الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب، قاموس المحيط، ج 3، ط2، 1952، ص 233،234.6

7- أحمد زكرياء الرازي أبي العين، معجم مقاييس اللغة العربية مادة (ز، م، ن)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص 89.

8- حسام الألوسي، الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2005، ص 171.

9- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ج1، ط2، ص 09.

10- أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2004، ص 32.

11- المرجع نفسه، ص 33،34.

12- المرجع نفسه، ص 34.

13- سليمة عزاوري، الرواية والتاريخ دراسة في العلاقات النصية رواية العلامة بنسالم حميش، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف واسيني الأعرج، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2005،2006، ص 133.

14- بنسالم حميش، رواية العلامة، أفاق العربية الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط 1، 2002، ص 30.

15- رواية العلامة، ص 33.

16- الرواية، ص 40.

17- رواية العلامة، ص 42.

18- المصدر نفسه، ص 44.

19- المصدر نفسه، ص 43.

20- المصدر نفسه، ص 45.

21- رواية العلامة، ص 45.

22- المصدر نفسه، ص 69.

23- رواية العلامة، ص 89.
24- رواية العلامة، ص 90.
25- الرواية، ص 90.
26- الرواية، ص 91.
27- الرواية، ص 100.
28- سليمة عزاوري، الرواية والتاريخ دراسة في العلاقات النصية رواية العلامة بنسالم حميش، ص 134.
29- حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1990، ص 121.
30- رواية العلامة، ص 99.
31- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 137.
32- المرجع السابق، سليمة عزاوري، الرواية والتاريخ دراسة في العلاقات النصية، ص 135.
33- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1997، ص 144.
34- رواية العلامة، ص 49.
35- الرواية، ص 102.
36- الرواية، ص 113.
37- الرواية، ص 123.
38- الرواية، ص 126.
39- الرواية، ص 124.
40- المرجع السابق، سليمة عزاوري، الرواية والتاريخ العلاقات النصية، ص 136.
41- المرجع السابق، ص 136.
42- المرجع السابق، الرواية والتاريخ العلاقات النصية، ص 136، 137.
43- غاستون باشلار، جدلية الزمن، تر خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط3، 1992، ص 33.
44- المرجع السابق، الرواية والتاريخ العلاقات النصية، ص 142.
45- المرجع نفسه، ص 132.
46- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 310.
47- رواية العلامة، ص 11.
48- المرجع السابق، الرواية والتاريخ العلاقات النصية، ص 143.
49- رواية العلامة، ص 36.
50- الرواية، ص 99.
51- المرجع السابق، سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 310.
52- الرواية، ص 107.

53- سعيد يقطين، المرجع السابق، ص 370.

54- المرجع السابق، الرواية والتاريخ العلاقات النصية، ص 144.